مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٧) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (7) 2026

# المفارقة المعجميّة بين الدّلالة والأسلوبيّة
# دراسة تطبيقيّة في نماذج من ديوان سقط الزّند للمعرّي

**أ.د. مصطفى عبد الرّحمن نمر***

**ميس سلمان غدا****

**(تاريخ الإيداع ١/٢٥ /٢٠٢٦. قُبِل للنشر في ٣/٢٦ /٢٠٢٦)**

**□ ملخّص □**

يتناول هذا البحث ظاهرة المفارقة المعجميّة بوصفها آلية أسلوبيّة مهيمنة تُحدث العدول في الدّلالة وتُسهم في تكوين الشّعريّة العربيّة.

وتعتمد المفارقة المعجميّة على خلق تناقض ظاهريّ بين الكلمة ومعناها الحقيقيّ؛ ما يدفع المتلّقي إلى تأويلات مُتعدّدة تُثري النّصّ وتُكسبه طاقة جماليّة وإيحائيّة، وهي من أهمّ الظّواهر التي تمنح الخطاب الأدبيّ طاقته الإيحائيّة وتمايزه الفني.

كما تُعدّ المفارقة المعجميّة تحديداً محوراً دلاليّاً شديد الارتباط بآليّات الاختيار والتّركيب، وبالعلاقة بين البنية السّطحيّة والبنية العميقة للجملة، فالكلمة في السّياق الأدبيّ لا تُدرك بوصفها وحدة معجميّة محايدة، بل بوصفها مركزاً دلاليّاً ينفتح على أكثر من مستوى، ويولّد عدولاً بين معنى أوّل ظاهر، ومعنى ثانٍ عميق يُبنى من خلال التّأويل.

ويُعدّ شعر أبي العلاء المعرّي في ديوانه سقط الزّند أنموذجاً خصباً لدراسة هذه الظّاهرة لما يتّسم به من تعقيد دلاليّ وثراء تأويليّ.

يرصد البحث حضور الجذور النّظريّة لهذه الظّاهرة في التّراث النّقدّي والبلاغيّ العربيّ، ويحاول تحليل أبعادها في ضوء الدّرس اللّسانيّ الحديث، مع توظيف نماذج تطبيقيّة من شعر أبي العلاء المعرّي في ديوان (سقط الزّند) لبيان الأهميّة التي تؤدّيها المفارقة المعجميّة في بناء الشّعريّة وتوليد الدّلالات المُتعدّدة التي تُثري النّصّ الشّعريّ، مع بيان أثر تفاعل الأشكال والآليّات البلاغيّة المتنوّعة في إنتاج المفارقة المعجميّة، والكشف عن الوظيفة التي تؤدّيها المفارقة في بناء الشّعريّة العربيّة.

**الكلمات المفتاحيّة:** المفارقة، العدول، الشّعريّة، البنية العميقة.

* أ. د. دكتور البلاغة في قسم اللغة العربيّة، كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة اللاذقيّة.

** طالبة دراسات عليا (ماجستير)، قسم اللغة العربيّة، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة اللاذقيّة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٧) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (7) 2026

# The Lexical Paradox between Semantics and Stylistics: An Applied Study on Selected Models from Al-Ma'arri's "Saqt al-Zand"

**PhD in Rhetoric Dr. Mustafa Abdul Rahman Nemer***
**Mais salman ghada****

**(Received 25/1 /2026. 26 /3/2026)**

**□ ABSTRACT□**

This study investigates lexical paradox as a pivotal stylistic mechanism that engenders semantic deviation and contributes fundamentally to the formation of Arabic poetics. Lexical paradox relies on establishing an ostensible contradiction between a word and its real meaning; this prompts the reader to pursue multiple interpretations that enrich the text and imbue it with aesthetic and suggestive power. Indeed, it is one of the most significant phenomena that endows literary discourse with latent energy and artistic distinction.

Lexical paradox specifically constitutes a semantic axis deeply connected to the mechanisms of selection and combination, and to the relationship between the sentence's surface and deep structures. In a literary context, the word is not perceived as a neutral lexical unit, but rather as a semantic nucleus that opens onto multiple levels, generating a displacement between an apparent initial meaning and a deep secondary meaning constructed through interpretation.

The poetry of Abu al-Ala' al-Ma'arri, particularly in his collection Saqt al-Zand, provides a fertile corpus for examining this phenomenon due to its semantic complexity and interpretive richness. This research aims to trace the theoretical roots of this phenomenon in the Arabic critical and rhetorical tradition and analyze its dimensions through modern linguistic perspectives. By employing applied examples from Saqt al-Zand, the study demonstrates how lexical paradox functions in constructing poetics and generating the multiplicity of meanings that animate the poetic text. Furthermore, it highlights how various rhetorical forms and mechanisms interact to produce lexical paradox and reveals the role this paradox plays in shaping Arabic poetics.

**Keywords:** Paradox, Semantic Deviation, Deflection, Poetics, Deep Structure.

* PhD in Rhetoric, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University.
** Graduate student (Master's), Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University

**المقدمة:**

لم تكن اللّغة عند أبي العلاء المعرّي أداة تعبير فحسب؛ بل كانت ميدانًا للصّراع الفكريّ بين الموروث والقناعة، وبين القيمة واستحالتها. ومن هذا المنطلق، يتجلّى ديوان سقط الزّند* بوصفه نصّاً إشكاليّاً يزعزع العلاقات المستقرّة بين اللّفظ والمعنى، ويعيد بناء القيم عبر آليّة لغويّة دقيقة يمكن توصيفها بـ المفارقة المعجميّة.

كما لم تعد المفارقة في الدّراسات اللّغويّة المعاصرة مجرّد أداة أسلوبيّة أو تقنية بلاغيّة ثانويّة، بل غدت مدخلًا أساسًا لفهم التّوتّر القائم بين اللّغة والقيمة، وبين الدّلالة المعياريّة والاستعمال الناقض لها. غير أنّ ما يُسمّى اليوم بـ المفارقة المعجميّة ظلّ في الدّرس العربيّ مفهومًا مُضمَرًا، حاضرًا في التّحليل وغائبًا في التّسمية، موزّعًا بين مصطلحات بلاغيّة متفرّقة مثل : التّعريض، والتّهكم، والعدول، والمجاز.....

تنطلق هذه الدّراسة من فرضية مفادها أنّ المفارقة المعجميّة ليست ظاهرة طارئة ولا مستوردة، بل بنية لغويّة أصيلة، تجد جذورها النّظريّة في صميم البلاغة العربيّة القديمة، وبخاصّة في مؤلّفات ابن جنّي، وعبد القاهر الجرجاني، والسّكّاكيّ، إذا أُعيدت قراءتها قراءة تحليليّة حديثة، لا تاريخيّة وصفيّة.

و تُعدّ ظاهرة العدول عن المألوف اللّغويّ من المقومات الجوهريّة للخطاب الأدبيّ عامّة، والشّعريّ خاصّة، ومن أبرز تجلّيات هذا العدول: المفارقة المعجميّة، التي تقوم على إيجاد فجوة دلاليّة بين المعنى المعجميّ المباشر للّفظ، والمعنى الذي يفرضه السّياق الأدبيّ، ما يخلق صداماً مؤثراً يولّد دلالات عدّة، ويُثري عملية التّأويل.

وقد حظيت هذه الظّاهرة باهتمام بالغ في التّراث البلاغيّ والنّقدّي العربيّ تحت أسماء أو مصطلحات: المجاز، والعدول، كما ذكرنا آنفاً ، وقد تمّت مقاربتها في اللّسانيات الحديثة عبر مفاهيم البنية السّطحيّة والبنية العميقة، والعدول السّياقيّ.

**إشكاليّة البحث:**

يُثير هذا البحث جملةً من التّساؤلات الجوهريّة:

. لماذا ظلّت المفارقة المعجميّة حاضرةً في التّحليل البلاغيّ العربيّ القديم غائبةً في التّسمية والتّنظير، موزّعةً بين مصطلحات متفرّقة كالتّعريض والتّهكّم والمجاز والعدول؟

. ما الآليّات اللّغويّة التي تُنتج المفارقة المعجميّة في النّصّ الشّعريّ، وكيف تتفاعل على محوري الاختيار والتّركيب؟

. هل يمكن الرّبط الخلّاق بين المفاهيم التّراثيّة كـ"معنى المعنى" عند الجرجاني والاتّساع اللّغويّ عند ابن جنّي، وبين المفاهيم اللّسانيّة الحديثة كالبنيتين السّطحيّة والعميقة عند تشومسكي، والقيمة الاختلافيّة عند دوسوسير؟

. ما الدّور الذي تؤدّيه المفارقة المعجميّة في بناء الشّعريّة وتكثيف الدّلالة في شعر أبي العلاء المعرّي في ديوان "سقط الزّند"؟

**ويرمي البحث إلى:**

١. رصد المفهوم النّظريّ للمفارقة المعجميّة ، متتبّعاً حضورها في التّراثين العربيّ والغربيّ.

٢. تحليل آليّات اشتغال المفارقة المعجميّة، مع التّركيز على محوري الاختيار والتّركيب، وعلاقتهما بالبنيتين السّطحيّة والعميقة.

٣. تطبيق الإطار النّظريّ على نماذج من شعر المعرّي، لبيان مدى إسهام المفارقة في بناء شعريّته.

٤. الكشف عن دور التّفاعل بين الآليّات اللّغويّة المختلفة (الدّلاليّة، و السّياقيّة، و التّركيبيّة) في إنتاج المفارقة، وبناء الشّعريّة.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفيّ ؛ لأنّه يجمع بين وصف الظّواهر بدقّة (كيف تبدو؟) وتحليلها؛ لفهم الأسباب والعلاقات بين متغيّراتها (لماذا تحدث؟ وكيف ترتبط؟)، وذلك عبر جمع بيانات شاملة (كميّة ونوعيّة) وتحليلها منطقيّاً لاستخلاص نتائج موضوعيّة، كما أنّه يُعدّ الأكثر مرونة في الأبحاث الأدبيّة، وقد عمد إلى تركيز نقاط التّقاطع والالتقاء بين القديم والحديث، دون إغفال أهميّة دور التّحليل في الوقوف على دلالات النّصّ وإيحاءاته.

**وتجدر الإشارة** إلى أنّ هذا البحث يستعين بجملة من المفاهيم والمصطلحات اللّسانيّة والبلاغيّة، كالبنية السّطحيّة والعميقة، والتّلازم اللّفظيّ، والعدول، والشّعريّة العربيّة، والحقول الدّلاليّة؛ غير أنّ هذه الاستعانة لا تعني الخوض في هذه المصطلحات بوصفها موضوعات مستقلّة أو حقولاً معرفيّةً قائمةً بذاتها، إذ لكلٍّ منها في الدّرس الأكاديميّ أصوله النّظريّة وتفريعاته المنهجيّة التي تستوجب دراسات مخصّصة؛ وإنّما يُوظَّف كلٌّ منها هنا توظيفاً إجرائيّاً يُضيء جانباً من جوانب المفارقة المعجميّة ويُبيّن صلته بها، دون أن يتجاوز ذلك إلى استقصاء أبعاده النّظريّة البعيدة.

وبهذا تغدو هذه المصطلحات أدواتٍ تحليليّةً في خدمة الظّاهرة المدروسة لا منافِسةً لها، ضمن إطار منهجيّ تكامليّ يصبّ في النّهاية في خدمة الموضوع الرّئيس، ألا وهو المفارقة المعجميّة في شعر أبي العلاء المعرّي.

## أ . الجانب النّظريّ:

### أولاً: المفارقة المعجميّة المفهوم والدّلالة:

تتأسّس المفارقة المعجميّة على فجوة الدّلالة المعجميّة المباشرة للكلمة، وما تكشفه في سياقها من معنى مناقض، أو مغاير، أو مفارق، وهذا ما يؤكّده مفهوم البنية السّطحيّة والبنية العميقة؛ إذ تُشير إلى أنّ الدّالّ الواحد قد تتعدد مدلولاته تبعاً للسّياق، وأنّ الانحراف عن المعنى الوضعي يُعدّ جزءاً من الطّبيعة الأدبيّة للخطاب؛ " فالبنية السّطحيّة ما هي إلا الصّورة الفعليّة المحسوسة للجملة وهي محولة عن البنية العميقة " [١].

فالكلمة قد تمنح القارئ انطباعاً أوليّاً بسيطاً هو المعنى السّطحيّ، لكنّها في عمقها الإيحائيّ تنتمي إلى شبكة من العلاقات الدّلاليّة التي تُنتج معنى ثانياً يعكس التّجربة الشّعوريّة للمتكلّم، وقد عبّر الجرجاني عن هذا بـ "معنى المعنى" [٢] ، وهو انتقال اللّفظ من دلالته المباشرة إلى دلالة أخرى تفرضها المقامات والقرائن السّياقيّة،

---

* "سقط الزّند" وهو باكورة إنتاج المعرّي الشّعري، نظمه في مطلع حياته وشبابه، قبل رحيله إلى بغداد ، سبب التّسمية: سمّاه "سقط الزند" تشبيهاً لشعره بالشّرر المتطاير من الزّند (آلة القدح) عند إيقاد النّار، فكما أنّ "السّقط" هو أوّل ما يخرج من النّار، فكان ديوان سقط الزند مرآة لشعر الصّبا والشّباب، وفيه أغراض شعريّة متنوّعة كالمديح والفخر والوصف.

[١] راضي، عبد الحكيم، نظريّة اللّغة في النّقد العربيّ، ص٤٨٨

[٢] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٢٦٣

وتنشأ المفارقة المعجميّة حين تُستعمل المفردة في موقع يُوحي بمعنى يعارض معناها الأصلي أو ينقله إلى مستوى رمزيّ أو إيحائيّ جديد، فيحدث التّوتّر بين الدّلالة المتوقّعة وبين الدّلالة المتحقّقة.

وقد كان كلام دوسوسير مقارباً لهذا المعنى، فقد رأى أنّ العلامة اللّغويّة لا تحمل قيمة ذاتيّة، بل تكتسب قيمتها من علاقاتها الاختلافيّة داخل النّسق[١] ، و أنّ اللّفظة يمكن أنّ تحتفظ بشكلها المعجميّ، بينما تتغيّر قيمتها الوظيفيّة بتغيّر السّياق. غير أنّ هذا التّصوّر، على حداثته الظّاهرة، يجد ما يوازيه – بل يسبقه – في النّظريّة اللّغويّة العربيّة عند ابن جنّي، الذي ينطلق من مبدأ جوهريّ مفاده أنّ العلاقة بين اللّفظ والمعنى ليست علاقة تطابق صارم، بل علاقة قابلة للتّصرّف والاتّساع. يقول ابن جنّي:" قد يُحمَل اللّفظ على غير ما وُضع له إذا دلّ عليه الدّليل" [٢].

هذا القول يفتح الباب أمام فهم أعمق لمرونة اللّفظ، بوصفه كيانًا لغويّاً غير مغلق دلاليّاً. ومن هنا، تصبح المفارقة المعجميّة ممكنة من ناحية المبدأ؛ إذ لولا قابليّة اللّفظ لأن يُحمَل على غير ما وُضع له، لما أمكن قلب قيمته دون تحطيمه شكليّاً. ويعزّز ابن جنّي هذا التّصوّر حين يربط ذلك بما يسمّيه الاتّساع والتّصرّف في اللّغة " وإنّما جاز ذلك لما كان في الكلام من الاتّساع والتصرّف" [٣].

إنّ الاتّساع هنا ليس توسّعاً اعتباطيّاً، بل شرطًا من شروط الفصاحة. والمفارقة المعجميّة تمثّل أعلى درجات هذا الاتّساع؛ لأنّها لا توسّع المعنى فقط، بل تضعه في مواجهة قيمته الموروثة.

يقول "ناصر شبانة : " إنّ المفارقة انحراف لغويّ يؤدّي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرّة ومتعدّدة الدّلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع للتّصرف وفق وعيه بحجم المفارقة" [٤].

**ثانياً: المفارقة المعجميّة ومحور الاختيار:**

يرتبط ظهور المفارقة المعجميّة ارتباطاً وثيقاً بمحور الاختيار وهو المحور الذي "ينتقي فيه المتكلّم عناصره

التّعبيريّة من بين مجموعة واسعة من المفردات التي يمكن أنّ تتبادل مواقعها" [٥].

وإذا كانت اللّفظة قابلة للتصرّف، فإنّ اختيارها يصبح فعلًا ذا دلالة عميقة؛ لأنّ اللّغة لا تقدّم للمتكلّم ألفاظًا محايدة، بل ألفاظًا مشحونة بتاريخ استعماليّ وقيميّ، واختيار لفظ دون آخر يعني استدعاء هذا التّاريخ بكلّ ما يحمله من توقّعات في هذا السّياق.

يلتقي التّصوّر اللّسانيّ الحديث مع البلاغة العربيّة، التي شدّدت مبكراً على مفهوم القصد. فالمتكلّم، في نظر البلاغيين، لا يختار لفظه عبثًا، بل لما يُحدثه من أثر في المتلّقي. ويشير السّكّاكيّ إلى أنّ البلاغة هي: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" [٦].

---

[١] ينظر: دو سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة ، ص١٦٦.

[٢] ابن جنّي، الخصائص ، ج١٦٢/٢.

[٣] المصدر السّابق نفسه، ج٩٨/١.

[٤] شبانة، ناصر: المفارقة في الشعر العربي الحديث، ص ٤٢.

[٥] ينظر: المسدّي، عبد السّلام، الأسلوب والأسلوبيّة، ص١٠٨.

[٦] السّكّاكيّ، مفتاح العلوم ، ص٥٢.

إنَّ تفسير النصّ الأدبيَّ لا يتمُّ إلّا بتناول المفردة في سياقها الذي وردت فيه، ويتمُّ التحدُّث عن دلالتها المعجميَّة، ودراسة السِّياق اللغويّ بجملته للكشف عن جماليَّة النّصّ، أي: نتجاوز النظرة التفكيكيَّة إلى نظرة شموليَّة؛

تدرس الجزء في صورة الكلّ؛ لذلك علينا إدراك دلالات الكلمة وتقبلها في إطار سياقها لا في إطار دلالتها المعجميَّة فحسب؛ وهذا لا يعني عدم أهمّيَّة الدلالة المعجميَّة؛ فدلالة النصّ الأدبيّ وإن كانت تُستمدُّ من السِّياق؛ فإنَّ الكلمة مع ذلك تحافظ على جانبٍ من دلالتها المعجميَّة التي كان لها دورٌ في أصل في تكوين دلالة النّصّ، و ارتباط الكلمة بسياقها هو معيار دلالتها من جهةٍ، ومعيار فصاحتها من جهةٍ أُخرى، فإذا ما نظرنا إلى (المقال) على أنَّه يمثِّل (السِّياق اللغويَّ) فإنَّنا نجد البلاغيّين قد أَوْلَوه عنايةً كبيرةً، وليس أدلّ على ذلك من ربط الجرجانيّ فصاحة الكلمة بسياقها اللغويّ، وبالتّركيب الذي قيلت فيه إذ يقول: "وجملة الأمر أنَّا لا نوجب الفصاحة للفظةٍ مقطوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنَّا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلَّقاً معناها بمعنى ما يليها" [١] .

وهذا المبدأ لا يُنقَض بالضّرورة عند اللّجوء إلى المفارقة المعجميّة؛ لأنّ هذه المفارقة لا تنشأ من إلغاء مقتضى الحال؛ بل من افتراضه أوّلًا، ثمّ تعمّد تجاوزه بوعي دلاليّ؛ إذ يُنتقى اللّفظ المفارق ابتداءً بوصفه المناسب وفق العرف اللغويّ السّائد، ثم يُوضع في سياق يجعل أداءه الدّلاليّ مناقضاً لوظيفته المتوقَّعة. وبهذا يتحوّل الاختيار المعجميّ من مجرّد انتقاء لفظيّ إلى فعل نقديّ يستهدف القيمة التي يحملها اللّفظ في الوعي الجمعيّ، لا اللّفظ في ذاته.

تتّجلى في هذا المحور حريّة المبدع في انتقاء لفظ ذي شحنة دلاليّة معيّنة، لكنّه يضعه في سياق غير متوقّع، فيدفع بالمعنى إلى التّوتّر والمفارقة، وهنا تقوم المفارقة على ثلاثة أسس:

١. اختيار لفظ ذي معنى معجميّ ثابت.

٢. وضعه في سياق لا يتفق مع هذا المعنى.

٣. توليد معنى جديد من خلال الصّدام الدّلاليّ.

فالفجوة التي تنشأ بين الدّلالة المعجميّة والمعنى المستجد هي ما يصنع المفارقة، ويمنح النّصّ قوّته الإيحائيّة، و" السِّياق متضمَّنٌ داخل التعبير المنطوق بطريقةٍ ما" [٢] ، ولهذا "فإنَّ معنى الكلام لا يتأَتَّى فصله بأيّ حالٍ من الأحوال عن السِّياق الذي يُعرض فيه" [٣] .

**ثالثاً: المفارقة ومحور التّركيب:**

تتّجلى آليّة بناء المفارقة على محور التّركيب من خلال العلاقات الائتلافيّة بين الوحدات اللّغويّة، وإنتاج المفارقة من داخل العلاقات فيبلغ التّحليل ذروته حين ننتقل من الكلمة المفردة إلى العلاقات التي يُنشئها داخل التّركيب، فالتّركيب " ينشئ علاقات حضور، تتفاعل فيها الوحدات المتجاورة وتُنتج معنى جديداً لا وجود له في

[١] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٣٠٨-٣٠٩ .

[٢] عبد اللطيف، محمد حماسة، النَّحو والدلالة- مدخل دراسة المعنى النحوي والدلالي، ص٩٨.

[٣] السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (مدخل)، ص٢٦٥.

كلّ وحدة منفصلة" [١] ،والمفارقة المعجميّة لا تظهر في الكلمة منفردة، بل في موقعها التّركيبيّ وفي علاقاتها بما يجاورها، فالتّجاور السّياقيّ هو الذي يخلق الانحراف الدّلاليّ ويحوّل المعنى الأوّل إلى معنى مضمر.

وهنا تبرز أهميّة نظريّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني، الذي يؤكّد أنّ المعنى لا يُستخلص من الألفاظ منفردة، بل من طريقة تعليق بعضها ببعض يقول الجرجاني:" ليس الغرض من نظم الكلم أنّ تُوالى في النّطق، بل أنّ

تُعلّق بعضها ببعض على وجه مخصوص" [٢] ، في ضوء هذا التّصوّر، يمكن القول:

إنّ المفارقة المعجميّة حدثٌ نظميّ بامتياز. فالكلمة تحتفظ بصورتها المعجميّة، لكن النّظم: يطلقها بلا قيد، أو يُفرطها في التّعميم، أو يضعها في سياق نفي واستدراك، فتنهار وظيفته القيميّة من الدّاخل. وهنا تتحقّق المفارقة لا عبر التّضادّ الصّريح، بل عبر فائض التّركيب.

ويؤكّد الجرجاني هذا المنحى حين ينفي أنّ تكون للألفاظ قيمة في ذاتها: " لو كانت الألفاظ تُفاضَل من حيث هي ألفاظ، لكان التّقديم والتّأخير سواء" [٣] ، وهذا القول ينسجم تمامًا مع مفهوم المفارقة المعجميّة، التي تقوم على قلب القيمة عبر الموقع والعلاقة، لا عبر استبدال اللّفظ، فالنصُّ يجب أن يكون انعكاساً لموقفٍ ما، ويؤكِّد لنا هذا التوجُّب؛ أنَّ ترتيب العناصر اللغويَّة داخل التّركيب لا يسوِّغه فقط السِّياق اللغويُّ؛ وإنَّما يرجع ذلك أحياناً إلى سياق الحال والعوامل الخارجيَّة التي تحيط بالحدث اللّغويّ؛ كالمتكلِّم وموقفه من العنصرين وتقديمه مَا يراه محلَّ العناية والاهتمام.

وهكذا يعمل محورا الاختيار والتّركيب معاً: الاختيار يوفّر إمكانات المفارقة، والتّركيب يُفعّل المفارقة عبر النّسيج اللّغويّ. يقول المعرّي مادحاً [٤]:

**ولولا قولُكَ الخلّاقُ ربّي لكان لنا بطلعتِكَ افتتانُ**

**تخبُّ بكَ الجيادُ كأنّ جَوْنًا على لَبّاتِهِنَّ الأُرْجُوانُ**

يتّسم النّصّ بتوظيف متقن للمفارقة المعجميّة التي تنسجم مع بنية الاختيار والتّركيب؛ إذ يظهر التّناقض الظّاهر بين البعد الإيمانيّ والجماليّ والحركيّ، فيختار الشّاعر لفظ «الخلّاق» مع «ربّي» ليؤكّد القدرة الإلهية المطلقة على ضبط الغلو البشريّ، في حين تنتقل المفارقة إلى البعد النّفسيّ والحسّيّ من خلال «طلعتك» و«افتتان»، ما يجمع بين التّجريد الإيمانّي والانبهار النّفسيّ المكثّف، ويتعزّز هذا التّباين في المعجم الحركّي واللّونّي؛ إذ يوظّف الفعل «تخبّ» مع «الجياد» لتصوير القوّة والانضباط، مقابل اللّون الملكّي «الأرجوان» الذي يضفي بعدًا بصريّاً فخماً، فينتج صراع دلاليّ متوازن بين القوّة والجمال.

---

[١] ينظر: دو سوسير، محاضرات في علم اللّسان العام، ص١٥٧، ١٦٠.

[٢] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص٩٥.

[٣] المصدر السّابق نفسه، ص٨٩.

[٤] المعرّي، أبو العلاء، ديوان سقط الزّند وضوءه، ص٩٦.

أمّا على المستوى التّركيبيّ، فيدعم أسلوب الشّرط المفارقة بين : الإمكان والامتناع، بينما يعزّز تقديم الجار والمجرور التّشديد على أثر الطّلعة وحده، ويضيف التّشبيه المركّب والتضاد اللّونّي بين «الجون» و«الأرجوان» كثافة بصريّة وحركيّة مكثّفة، لتتلاقى الحركة واللّون في توتّر جماليّ مُتّسق. ومن خلال الضّمائر المتصلة، يُرسخ النّصّ المفارقة إحاليّاً بين السّبب والنّتيجة، فتتجسّد العلاقة بين قول الممدوح/طلعتك والافتتان/تخبّ الجياد في انسجام دلاليّ يتجاوز التّباين الظّاهر بين التّجريد والتجسيد. وهكذا، يحقّق النّصّ اقتصادًا لغويّاً وبلاغيّاً وجماليّاً، عبر توظيف المفارقة المعجميّة لاستثمار المعجم والاشتقاقات التّركيبيّة والبلاغيّة في الشّعر العربيّ، مع الحفاظ على الانسجام النّصّي والدّقة الإيحائيّة، ليصبح نموذجاً متقدّماً في تكثيف الأثر النّفسيّ والبصريّ دون المساس بالحدود العقيديّة.

في المجمل، يقوم النّصّ على توازن بلاغيّ دقيق بين تعظيم الممدوح، وضبط الفتنة من النّاحية الإيمانيّة، ويحقّق اقتصاداً لغويّاً من خلال الأفعال المكثفة والمصادر المركّزة، كما يترجم الجماليّات النّصّية من التّجريد الإيمانّي إلى التّجسيد الحركّي واللّونّي، ليؤسّس أثراً نفسيّاً وبصريّاً قويّاً، ممّا يجعل النّصّ أنموذجاً متقدّماً في التّوظيف المتكامل للمعجم والاشتقاقات التّركيبيّة والبلاغيّة في الشّعر العربيّ.

يتبيّن أنّ المفارقة المعجميّة هنا وليدة قرار لغويّ مزدوج: اختيار ألفاظ مُغالية ، وتركيب مطلق، يؤدّيان إلى قلب الوظيفة الدّلاليّة من التّمجيد إلى التّفكيك.

إنّ التّمجيد في هذا النّصّ لا يقوم على الإطراء المباشر؛ بل يتأسّس على منظومة لغويّة تستدعي من المعجم أرفع طبقاته دلالةً وأثقلها رمزيّاً، منتقيةً من حقول القداسة والسّلطة والجمال المطلق ما يرفع الممدوح فوق المستوى الإنسانيّ العاديّ إلى مرتبة الإجلال، وبذلك يغدو التّمجيد فعلاً وظيفيّاً في جوهره، يُعيد النّصّ بواسطته رسم الحدود الرّمزيّة بين الممدوح وسائر النّاس.

غير أنّ هذا التّمجيد يحمل في بنيته بذرة التّفكيك؛ إذ حين تتجاوز الألفاظ حدودها الدّلاليّة بفعل التّركيب المطلق غير المقيَّد

بسياق، تنفتح على دلالات مزعزِعة تُقرّب الخطاب من حافّة المبالغة؛ فيتحوّل الإفراطُ في التّعظيم من أداة إقناع إلى كاشف عن التّوتّر بين البنية المدحيّة وحدود المعقوليّة الدّلاليّة، والتّفكيك هنا ليس طارئاً خارجيّاً؛ بل نتاجٌ داخليّ ينبثق من رحم التّمجيد ذاته.

**رابعاً: المفارقة بين البنية السّطحيّة والبنية العميقة * :**

تستند المفارقة المعجميّة إلى التّباعد بين البنية السّطحيّة للخطاب ،و البنية العميقة ، وقد أشارت نظريّة تشومسكي إلى أنّ "البنية السّطحيّة قد تنحرف عن الأصل المثاليّ الكامن في البنية العميقة" [١] ، فقد ميّز تشومسكي بين البنية السّطحيّة الحاملة للقول، والبنية العميقة الحاملة للمقصد، وعبّر عنها بالفجوة المنتجة للمفارقة [٢] ، فتقوم المفارقة المعجميّة على استثمار هذه الفجوة؛ إذ يُقرأ اللّفظ على مستويين متوتّرين في آنٍ

* "تتحدد البنية العميقة عند تشومسكي بوصفها التّمثيل التّجريدي الذي يمنح الجملة تفسيرها الدّلاليّ والمنطقيّ، بينما تمثل البنية السّطحيّة الشّكل النّهائي للجملة بعد إخضاعها للقواعد التّحويليّة، وهذ القول ورد عند د.ميشال زكريا في كتابه الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ، ص١٦٦

[١] ينظر: المبارك، ناصر، الظّاهر اللّغويّ في الثّقافة العربيّة، ص١٢١-١٢٢.

[٢] ينظر، تشومسكي، نعوم، البنى التّركيبيّة، المنظمة العربيّة للترجمة ، ص١٨.

واحد، غير أنّ هذا التّصوّر يجد له أصلًا بلاغيّاً عربيّاً عند ابن جنّي، الذي يقرّ بتعدّد القصد، ويؤكّد أنّ المتكلّم قد يقصد بلفظه غير ظاهره إذا دلّ السّياق على ذلك [١].

وهكذا، لا تكون المفارقة خللًا في التّواصل، بل آليّة تواصل عالية الكفاءة ، وهي في هذا الإطار ظاهرة دلاليّة ناتجة من:

١. عدول في البنية السّطحيّة عبر اللّفظ المستعمل.

٢. معنى مقابل في البنية العميقة يصوّب المفارقة ويكشف بُعدها التّأويليّ.

وتلتقي المفارقة مع مفهوم البنية العميقة في النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة كما ذكر البحث؛ إذ تقوم البنية السّطحيّة على مفارقة "يجري تصحيحها من خلال المعنى الثّاني بعد التّأويل معتمدة على البنية العميقة الخاصّة والمتكئة على ثقافة ووعي كلّ قارئ" [٢] ، فتعمل المفارقة بذلك على إظهار التّناقض بين البنية السّطحيّة (المعنى الظّاهريّ) والبنية العميقة ( المعنى المؤوّل) ممّا يخلق توتّراً دلاليّاً يدفع المتلّقي إلى البحث عن المعنى الخفي.

وينسجم هذا الفهم مع تصوّر الجرجاني " المعنى هو الأصل ، واللّفظ تابع لها " [٣] ، فالمعاني ترتّب في النّفس قبل أنّ تتجسّد في البنية السّطحيّة، وأنّ البنية اللّغويّة ليست سوى صدى لبنية عقليّة سابقة [٤].

يقول المعري [٥]:

**علّلاني فإنّ بيضَ الأماني فنيَت والظّلامُ ليس بفاني**

**إن تناسيتما ودادَ أناسٍ فاجعلاني من بعضِ من تذكراني**

تتّسم أبيات المعرّي المطروحة بعمق دلاليّ وجماليّ يتجلّى بوضوح عند قراءة النّصّ من خلال نظريّة البنية السّطحيّة والبنية العميقة، ويتّضح أنّ المفارقة المعجميّة تمثّل محركًا جوهريّاً في تكثيف الأثر البلاغيّ للنّصّ.

على المستوى السّطحيّ، يظهر التّشكيل اللّغويّ المباشر في الإيقاع العروضيّ المتكرّر (مجزوء الكامل) الذي يحاكي دقّات القلب المتقطّعة، مع توازي صوتي عبر تكرار النّون في ألفاظ مثل "علّلاني"، "أماني"، "فاني"، و"تذكراني"، إلى جانب توظيف الجناس النّاقص بين "علّلاني" و"اجعلاني" لتعزيز التّماسك السّطحيّ. كما يبرز الخطاب المباشر من خلال الجملة الطّلبيّة "علّلاني" والجملة الشّرطيّة "إن تناسيتما... فاجعلاني"،

---

[١] ينظر، ابن جنّي، الخصائص، ج١٧٨/٢.

[٢] راضي، عبد الحكيم، نظريّة اللّغة في النّقد العربيّ، ص٥٠٢.

[٣] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢

[٤] ينظر: الكواز، محمد كريم، البلاغة والنّقد – المصطلح والنّشأة والتّجديد، الانتشار العربيّ، ص٣١٦.

[٥] المعري، ديوان سقط الزند، ص١٧٨.

ويتّضح التّقابل النّحويّ بين "فنيت" و"ليس بفاني"، و"تناسيتما" و"تذكراني"، مع تقديم ثنائيّات معجميّة مثل بيض/ظلام وفنيت/فاني، ما يخلق طبقات صوتية ودلالية متسقة تؤسس لمفارقة معجميّة بارزة.

أمّا البنية العميقة، فتكشف عن بعد فلسفيّ وجوديّ، إذ تُقلب الدّلالات المألوفة لتبرز المفارقة المعجميّة الجوهريّة: "بيض الأماني" (رمز الأمل والحيويّة) يفنى، بينما "الظّلام" (رمز العدم) يخلد، فينتج من ذلك تعارض مفهوميّ بين الفناء والبقاء، الأمل واليأس، ما ينقض التّصوّر التّقليديّ للزّمن والقيمة. كما يظهر أزمة الهويّة من خلال تنقل الذّات بين ضمير الجمع ("علّلاني") والمفرد ("تذكراني")، فتتحوّل الوجوديّة الحقيقيّة إلى وجود في ذاكرة الآخرين، ممّا يجعل اللّغة أداة للتّعويض الوجوديّ؛ فالكلمات تصبح دواء ("علّلاني") ووسيلة خلود عبر التّذكر.

هكذا، تُوظَّف المفارقة المعجميّة لتكثيف التّجربة الإنسانيّة، فتصبح اللّغة مساحة لتجسيد التّوتّر بين الظّاهر والمكنون، الواقع والذّاكرة، الحضور والغائب، بما يعكس قدرة المعرّي على تحويل النّصّ الشّعريّ إلى تجربة فلسفيّة وجدانيّة متكاملة، يلتقي فيها جمال الشّكل مع كثافة المعنى، ويبرز دوره في كشف تناقضات الوجود الإنسانيّ عبر الانقلاب الدّلاليّ في المعجم الشّعريّ.

**خامساً: المفارقة المعجميّة وعلاقة التّلازم:**

يأخذ التّلازم اللّفظيّ دوراً مركزيّاً في تشكيل المفارقة، لأنّ المفارقة تنهض غالباً عندما تأتي كلمة في تركيب لا تتلازم معه عادة، فالتّلازم هو: "ارتباط معتاد لكلمة بكلمات أخرى يستمدّ منه المعنى حياته" [١] ، وعليه فإنّ خرق التّلازم التّقليديّ يُحدث عدولاً مفارقاً في المعنى؛ أي (كسر الألفة بوصفه فعلاً دلاليّاً)، و معنى الكلمة يُعرف من خلال رفقة الكلمات التي تصاحبها، غير أنّ هذه الرّفقة ليست بريئة؛ إذ تتحوّل مع الزّمن إلى عرف لغويّ وقيميّ، فتعمل المفارقة المعجميّة على كسر هذا العرف، لا بهدف الإغراب، بل بهدف تفكيك الألفة المألوفة التي تخفي وراءها نظاماً قيميّاً مستقراً. وهنا يلتقي التّحليل اللّسانيّ الحديث مع ما أشار إليه ابن جنّي حين عَدّ أنّ مخالفة الظّاهر قد تكون أبلغ دلالة: " ليس كلّ ما خالف ظاهره مردودًا، بل قد يكون أبلغ وأدلّ" [٢].

فخروج الكلمة من مألوفها يكشف عن دلالة غير متوقّعة لدى المتلّقي، وتنشأ المفارقة بوصفها انقطاعاً عن العرف اللّغويّ وانفتاحاً على إمكانات جديدة للمعنى، يقول المعرّي [٣] :

**كأنّك درّ البحر أصبح طافيا على الماء فاعتام الورى من تُؤامه**

**كأنّك ركن البيت أُعطي قُدرة فسار إلى زوّاره لاستلامه**

[١] علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص١٢٢.

[٢] ابن جني، الخصائص، ص٢١١

[٣] المعري، ديوان سقط الزند، ص١٨٩.

تتّجلى في أبيات المعرّي القدرة الفائقة على توظيف التّلازم اللّفظيّ بوصفه محركاً دلاليّاً مركزيّاً؛ إذ يتأسّس التّماسك النّصّي على شبكتين استعاريتين متوازيتين تُعيدان تشكيل العلاقات الدّلاليّة التّقليديّة بطريقة مفارقة.

في البيت الأوّل، يبنى التّلازم على شبكة مائيّة – جواهريّة، تبدأ بـ: "درّ البحر"، الذي يرتبط عادة بالغوص والعمق والخفاء، لكنّه يُقلب استعاريّاً ليصبح "طافياً على الماء"، ما يخلق تلازماً مفارقاً بين ثقل الجوهر وخفّة الطّفو، وتتحوّل سلسلة دلاليّة متتابعة من درّ ← بحر ← طافياً ← ماء ← اعتام الورى، إذ يتحوّل التّألّق والبهاء إلى سبب للإخفاء والسّتر، مقلباً التّوقّعات التّقليديّة ومؤسّساً مفارقة معجميّة بين النوّر والظّل، بين التّألّق والفناء، بما يكثف العدول الدّلاليّ للنّصّ.

أمّا البيت الثّاني، فيستند التّلازم فيه إلى شبكة دينيّة – حركيّة، إذ يُستعان بـ"ركن البيت" (الكعبة) الذي يرتبط بالثّبات والانتظار في الوعي الجمعيّ، لكنّه يُعطى القدرة ليصبح فاعلاً يسير إلى زوّاره، ما يحدث عدولاً مفارقاً بين الثّابت والمتحرك، المقدّس والعادي. تتكامل هذه الشّبكة مع البيت الأوّل عبر عدول ثلاثي المستويات:

**أفقيّاً** بربط الحقول الدّلاليّة المتباعدة (الجواهر/الماء، المقدّس/الحركة)، **عموديّاً** باختراق المستويات الدّلاليّة من الحسيّ إلى المجرد، **وقطرياً** عبر قلب العلاقات السّببيّة (التّألّق يسبب الخفاء، المقدس يتحرّك نحو البشر). وهكذا يتولّد تلازم تبادلي بين عناصر الشّبكتين: "الدرّ الطّافي" مرآة لـ "الرّكن المسافر"، و"اعتام الورى" مقابله "استلام الزوّار"، ما ينتج تماسكاً نصّيّاً على الرّغم من التّباعد الظّاهريّ للصّور.

على المستوى البنيويّ الكلّي، يُنتج التّلازم اللّفظيّ بنية تفكيكيّة مزدوجة، فهو من جهة يفكّك الثّوابت الدّلاليّة (ثبات الجواهر، قدسية الأركان)، ومن جهة أخرى يعيد تركيبها في علاقات جديدة تُنتج دلالة مركّبة ومفارقة، تتجاوز الوظيفة البلاغيّة التّقليديّة لتصير أداة تعيد تشكيل علاقة الذّات بالعالم؛ فالمعرفة لم تعد تتم عبر التّمييز بين الثّابت والمتحوّل، بل عبر إدراك الحركة في الثّبات والثّبات في الحركة [١].

في هذا السّياق، تتكامل المفارقة المعجميّة مع التّلازم اللّفظيّ، إذ تُقلب الدّلالات المألوفة للألفاظ لتعكس صراعًا وجوديّاً متشابكاً بين الثّبات والفناء، بين المقدّس والعادي، بين التّألّق والإخفاء، وبين الذّات والآخر، ويتحوّل المعجم إلى فضاء تفكيكيّ يعكس العدولات الصّوتيّة والدّلاليّة، فتتصير الكلمات أدوات كشف وصياغة للعالم الشّعوريّ والفلسفيّ، الأمر الذي يجعل شعريّة المعرّي قائمة على التّلازم الاستعاريّ والعدول المستمر ،والمفارقة المعجميّة، فينتج نصّاً متكاملًا يجمع بين الصّوت، الصّورة، الفكرة والفلسفة، ويجسّد مهارة المعرّي في تحويل الشّعر إلى تجربة معرفيّة وجدانيّة مركّبة.

فلماذا نندهش عندما يُخرق التّلازم المعجميّ أو قيود الوقوع المشترك؟

إن كانت الكلمات تتحرّك في اللّغة ضمن شبكات من التّوقّعات، فهناك تراكيب وألفاظ تتلازم بصورة متكرّرة، ليتكوّن لدى المتلقي توقّع دلاليّ ثابت، مثلاً نقول: ليل طويل، ونور ساطع، وابتسامة عذبة هذه العلاقات ليست اعتباطيّة؛ بل جزءاً من مخزون لغويّ مرن ولكنّه مستقر، وعندما يكسر الشّاعر هذا التّلازم المترسّخ تُولد المفارقة، والمفارقة تنهض غالباً عندما تأتي كلمة في تركيب لا تتلازم معه عادة، فيحدث خرقٌ

[١] ينظر: أدونيس، الثابت والمتحوّل، بحث في الإبداع والاتباع عند العرب – صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري،ج٤/٨٥، ٩٥.

للمعنى، ويُخرج الكلمة من وضعها المألوف، وينتج دلالة غير متوقّعة، ومن هنا تنشأ المفارقة بوصفها انقطاعاً عن العرف اللّغويّ وانفتاحاً على إمكانات جديدة للمعنى.

تتفاعل الظّواهر السّابقة جميعها لإنتاج المفارقة، لأنّنا عندما نضع كلّ العناصر في سياق واحد نحصل على ما يأتي: كسر التّلازم المعجميّ يؤدّي إلى عدول دلاليّ ينتج منه مفارقة معجميّة، والأخيرة ليست سوى نتيجة لعمليّة لغويّة مركبة تبدأ عند الكاتب الذي يخرق توقّعاً معجمياً مألوفاً، فينشأ عدول بين اللّفظة ومعناها الأصليّ، ليظهر في ذهن المتلّقي معنى جديد يعارض المعنى الظّاهر، والنّتيجة نصّ مشحون بالدّلالات، يتلقّاه القارئ على مستويين في الوقت ذاته، فالمفارقة تُنتج من تلازم يُكسر، ودلالة تُعدّل، ومعنى ينهض من فجوة بين السّطح والعمق، فتكسب اللّغة بهذا التّفاعل حيويّة أكثر ويصبح النّصّ فضاء مفتوحاً للقراءات والتّأويلات.

**سادساً: المفارقة والعدول ـ المفهوم والأنواع:**

**أ.** يُشير مصطلح العدول أو ( التّجاوز، أو الانحراف ) إلى "خروج الشّاعر بالكلمات عن طبيعتها الرّاسخة إلى طبيعة جديدة" [١] ، سعياً وراء تكثيف اللّغة دلاليّاً وبعث الحياة فيها، وهذا العدول ينقسم إلى نوعين رئيسين:

- عدول عن الصّواب: وهو مخالفة القواعد اللّغويّة ما يُخل بالفصاحة.
- عدول عن الأصل: وهو المقبول جماليّاً، ويتفرّع إلى:
  - العدول التّركيبيّ كالتّقديم والتّأخير، الحذف، الإيجاز،....
  - العدول الدّلاليّ كالمجاز، الاستعارة، الكناية،... [٢].

وتندرج المفارقة المعجميّة ضمن العدول الدّلاليّ؛ إذ تُخلق علاقة تناقضية بين الظّاهر والخفي، " فثمّة تأجيل أبديّ للمغزى" [٣] ، والعدول الدّلاليّ هو: انحراف مقصود عن الدّلالة الأصليّة للكلمة، يفرضه السّياق أو إرادة المبدع، بمعنى آخر؛ الكاتب يعرف تماماً ماذا تعني الكلمة، لكنّه يتعمّد نقلها إلى معنىً آخر، وهذا الانحراف هو ما يشحن الكلمة بطاقة المفارقة، وتصبح الكلمة محمّلة بمعنيين: ظاهر ومضمر، أي: سطحيّ وعميق.

**ب .** وقد أدرك النّقاد العرب القدامى أهميّة العدول الدّلاليّ في تشكيل الشّعريّة؛ فقد ذكر ابن جنّي أنّ الشّاعر "يعدل عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، هي: الاتّساع، والتّوكيد، والتّشبيه" [٤].

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد ربط بين العدول والمجاز موضّحاً أنّ : "الغرض المقصود بهذه العبارة أن نبيّن أنّ للّفظ أصلاً مبدوءاً به في الوضع ومقصوداً، وأنّ جريه على الثّاني إنّما هو على سبيل الحكم يتأتّى إلى الشّيء

---

[١] د. أبو ديب، كمال، في الشّعريّة، ص٣٨.

[٢] ينظر: التّركي، إبراهيم منصور،(٢٠٠٧)، العدول في البنية التّركيبيّة– قراءة في التّراث البلاغيّ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشّريعة واللّغة العربيّة وآدابها، ج١٩، ع٤٠، ص٥٥٦–٥٥٧.

[٣] شبانة، ناصر، المفارقة في الشّعر العربيّ الحديث، ص٦٥.

[٤] ابن جنّي، الخصائص، ج٢٩٩/١.

من غيره" [١].

يقول المعرّي [٢]:

**وإنّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْهُ الأوائلُ**

**وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارمٌ وأسري ولو أنّ الظّلامَ جحافلُ**

تتّجلى في أبيات المعرّي هذه قدرة فائقة على توظيف نظريّة العدول بوصفها آليّة بلاغيّة ووجوديّة لإعادة تشكيل الرؤية المعرفيّة، إذ تتفاعل مستويات العدول الثّلاثة لخلق تصوّر متعالٍ للذّات والكون، متّسقًا مع وظيفة المفارقة المعجميّة في قلب دلالات الألفاظ التّقليديّة لإنتاج أثر معرفيّ وجدانيّ مكثّف.

العدول الزّمنيّ يبدأ بقلب التّراتبيّة التّاريخيّة التّقليديّة في العبارة "وإني وإن كنت الأخير زمانه / لآت بما لم تستطعه الأوائل"، فيتحوّل "الأخير" من موقع تأخّر إلى موقع تفوّق، ويصبح المستحيل التاريخيّ مجالاً للإتيان، ما يخلق مفارقة معجميّة قائمة على التّناقض بين الظّاهر (الأخيرة) والمكنون (التّفوّق)، ويعكس تفكيك "أسطورة الأصل" التي تهيمن على الخيال الثّقافيّ التّقليديّ، مؤسسًا لمعيارية إنجاز قائمة على القدرة لا على التّرتيب الزّمنيّ.

أمّا العدول المجازي ، فيتجلّى في تحويل الظّواهر الطّبيعيّة إلى كيانات عدائيّة: "الصّباح صوارم" و"الظّلام جحافل"، فيتحوّل الإشراق واللّيل من دلالات طبيعية محايدة إلى تهديدات قائمة بذاتها، ما يخلق تبايناً دلاليّاً ومفارقة معجميّة بين الضّوء والظّل، الأمل والفناء، الطّبيعيّ والمتحرّك. هذا العدول يجعل الكون فضاءً صراعيّاً مستمراً، إذ تصبح الذّات في مواجهة دائمة مع العالم، في انعكاس مباشر لرؤية المعرّي للوجود كمعركة مستمرة، وتحويل المعجم من وظيفة وصفيّة إلى أداة فلسفيّة وكشفيّة.

أمّا العدول الدّلاليّ، فيتجلّى في ثلاث عمليّات متزامنة: تفكيك التّراتب الزّمنيّ لإبطال سلطة السّابقين، تفكيك الطّبيعة لتحويلها من حياد إلى خصومة، وتفكيك العلاقة بين الذّات والكون ليصبح العالم ساحة مواجهة، ما يجعل كلّ لفظة وكلّ تركيب محمّلاً بمعنى مزدوج: الظّاهر التّقليديّ والمكنون العدوليّ. وهكذا، تتحوّل الكلمات إلى أدوات تحدٍّ ومعرفة وجوديّة، فتجعل من العدول آليّة معرفيّة وليس مجرّد زخرفة بلاغيّة، متداخلًا مع المفارقة المعجميّة لإعادة تشكيل تصوّر الذّات والعالم.

في المجمل، يُشكّل العدول عند المعرّي نظامًا معرفيّاً متكاملاً قائماً على:

- تفكيك الثّوابت التّاريخيّة والطّبيعيّة.
- إعادة تركيبها عبر العدول الدّلاليّ.
- تأسيس ذات متعالية تتجاوز قيود الزّمن والكون.
- إنتاج لغة مزدوجة الطّبقات تحمل تناقضاتها في بنيتها.

[١] الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٣٥٢

[٢] المعري، ديوان سقط الزند، ص٢٠٠.

–ويتحقق التّلاقي بين العدول والمفارقة المعجميّة في قلب توقّعات القارئ؛ إذ تصبح الألفاظ، والصّور، والأفعال أدوات لإعادة خلق الواقع فكريّاً ووجوديّاً، ما يجعل شعريّة المعرّي تجربة معرفيّة وجدانيّة متكاملة، تقوم على العدول المستمر والمفارقة الدّلاليّة والتّحدّي الفلسفيّ.

**ج– المفارقة بين العدول والتّأويل:**

تُعدّ المفارقة المعجميّة تجليّاً من تجلّيات العدول اللّغويّ الذي يقوم على "مجاوزة السّنن المألوفة بين النّاس في محاوراتهم وضرب معاملاتهم لتحقيق سمة جماليّة في القول تمتّع القارئ، وتُطرب السّامع، وبها يصير نصّاً أدبياً"[١] ، فهي ليست مجرّد خروج عن المألوف؛ بل هي "لعبة لغويّة غاية في المهارة والذكاء، إنّها رسالة ترميزيّة تقوم شعريّتها على جدليّة قائمة بين مبدعها الذي يفتح بناءها المغلق على قراءات مُتعدّدة" [٢] ، وبهذا، تتحوّل المفارقة إلى آليّة فاعلة في تحطيم الصّيغ اللّغويّة المألوفة وإفراغها من مضمونها المباشر، لتمنحها هويّة جديدة قائمة على التّعدّد الدّلاليّ والتّأويليّ.

**سابعاً: المفارقة والشّعريّة:**

تتّجلى علاقة المفارقة بالشّعريّة بكونها الآليّة التي "تجعل اللّغة تقول ما لم تتعلّم أن تقوله" [٣] ، فالشّعريّة كما عرفها جاكبسون هي: "الدّراسة اللّسانيّة للوظيفة الشّعريّة في سياق الرّسائل اللّفظيّة عموماً وفي الشّعر خصوصاً" [٤] ، وتُعد المفارقة المعجميّة من أبرز تجلّيات هذه الوظيفة الشّعريّة لأنّها:

- تخلق التّضادّ بين المعنى الحرفيّ والمعنى المؤوّل.
- تستدعي التّأويل، فهي "تقنيّة لا تنكشف إلا لقارئ يستطيع التقاط معانيها، وإدراك المغزى منها" [٥].
- تولّد انسجاماً من التنافر لأنّها تجمع بين عناصر متنافرة في بنيّة واحدة متماسكة.

يرى رومان جاكبسون "أنّ الشعرية تقوم على الانحراف المنظّم عن اللّغة العاديّة" [٦] ، والمفارقة المعجميّة تُعدّ من أكثر أشكال هذا الانحراف تعقيدًا؛ لأنّها تُبقي على اللّفظ وتغيّر وظيفته.

ومع تكرار هذا النّمط، تتحوّل المفارقة من تقنية موضعيّة إلى نسق تفكير، تُعاد من خلاله صياغة العلاقة بين اللّغة والقيم والواقع، وهو ما يجعلها رؤية معرفيّة لا مجرّد أداة بلاغيّة.

**. أنواع التّفاعل وآثاره الشّعريّة:**

أ. التّفاعل التّكاملي؛ إذ تعمل الآليّات معاً بشكل متجانس لإنتاج مفارقة موحدة.

ب . التّفاعل التّضادّي؛ إذ تتعارض الآليّات ظاهريّاً لتخلق توتّراً دلاليّاً.

جـ . التّفاعل التّصاعدي؛ إذ تتراكم الآليّات لتنتج مفارقة مُتعدّدة المستويات.

---

[١] بهنسي، عبد الموجود متولي، رؤية في العدول عن النّمطيّة في التّعبير الأدبيّ، ص٥.

[٢] سليمان، خالد، المفارقة والأدب، ص٤٦.

[٣] أدونيس، مقدمة للشّعر العربيّ، ص٧٩.

[٤] جاكبسون، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، ص٧٨.

[٥] الرّواشدة، خالد، فضاءات الشّعريّة دراسة العدول الدّلاليّ، ص٣٣.

[٦] جاكبسون، قضايا الشعرية، ص٧٤.

**. دور التّفاعل في إنتاج الشّعريّة:**

يؤدّي تفاعل الآليّات إلى:

- تعدد الدّلالات فتفتح المفارقة على تأويلات مُتعدّدة.
- إطالة زمن التّلقي بسبب الحاجة إلى فك شيفرة العدول.
- خلق الجماليّة من خلال المفاجأة الشّعريّة النّاتجة من العدول.
- يتّضح الدّور الشّعريّ من خلال (المفارقة) التي تحوّل النّصّ من خطاب إبلاغي مباشر إلى فضاء تأويليّ مفتوح، يتطلب مشاركة فاعلة من القارئ، كما تُسهم المفارقة في خلق التنافر المنتج للانسجام؛ إذ تجمع بين عناصر لغويّة متنافرة في بنية فنية متماسكة، ما يولّد الجماليّة الشّعريّة من خلال التّوتّر الدّلاليّ والمفاجأة.

**ثامناً: آليّات عمل المفارقة في الشّعريّة:**

**١. السّياق ودوره في ترجيح الدّلالة:**

يُعدّ السّياق العامل الحاسم في كشف الدّلالة المؤوّلة للمفارقة، فهو "يقوم على إقصاء الدّلالات غير المرغوبة التي تكمن في الكلمة وإبعادها بحيث تُرجّح دلالة واحدة لها" [١] .

وينقسم السّياق إلى أربعة أنواع:" اللّغويّ، والعاطفيّ، وموقف المقال(المقام)، والثّقافيّ" [٢] ، والمفارقة تُحدث خلخلة في السّياق المألوف لتخلق سياقاً جديداً قائماً على العدول.

**٢. العدول المعجميّ وإعادة تشكيل الحقول الدّلاليّة *:**

تعمل المفارقة على تحرير الكلمة من حقلها الدّلاليّ المألوف وإلحاقها بحقل آخر، ما يخلق صدمة دلاليّة، " فالكلمة في

الشّعر تمثّل الأشياء لا كما هي؛ بل كما يكون وقعها في النّفس" [٣] ، وهذا العدول يتناسب مع نظريّة الحقول الدّلاليّة التي

تهتمّ "بإدماج الوحدات المعجميّة المشتركة في بعض مكوّناتها الدّلاليّة في حقل دلاليّ واحد" [٤].

**٣. التّفاعل بين المباحث في إنتاج المفارقة:**

تنتج المفارقة المعجميّة من تفاعل ثلاثة مباحث رئيسة:

١. المبحث الدّلاليّ: ويتمثّل في العدول عن الدّلالة المباشرة للّفظ، وخلق علاقات غير مألوفة.

---

[١] علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، ص١٥

[٢] حسان ، تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص٣٣٢.

* الحقل الدّلاليّ هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالياً تحت لفظ عام جامع ، وله أنواع مثل: حقول محسوسة متصلة كالألوان، حقول غير متصلة ، حقول غير محسوسة وهذا ما ذكره أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة الذي نشرته دار عالم الكتب في القاهرة عام ١٩٩٨ في الصفحات : ( ٧٩،٨٢،١٠٧)

[٣] شبانة، ناصر، المفارقة في الشّعر العربيّ الحديث، ص٦٢.

[٤] قدور، أحمد محمد، مبادئ اللّسانيات، ص٣٠٢.

٢. المبحث السّياقيّ: ويعمل على ترجيح الدّلالة المؤوّلة عبر القرائن السّياقيّة، ويتجسّد دوره الحاسم في المفارقة من خلال إقصائه الدّلالات غير المرغوبة، وإظهار دلالة أخرى غير متوقّعة [١] ؛ لأنّ السّياق يمتلك القدرة على إعادة توزيع الدّلالات، وتوليد الانحراف الدّلاليّ، وخلق المفارقة عبر تعارض المستويات، وخاصّة عندما يتداخل السّياق الثّقافيّ والعاطفيّ والمقاميّ في إعادة تشكيل معنى الكلمة.

٣. المبحث التّركيبيّ: ويوفّر التّركيب الأساس الذي يجري العدول عنه لغايات دلاليّة وإيحائيّة ما يجعل العدول مقبولاً، ويسعى إلى تقديم النّصّ في قوالب نحويّة حيويّة.

والتّفاعل بين المباحث الثّلاث السّابقة هو الذي جعل المفارقة ظاهرة مُعقّدة تتطلّب تحليلاً مُتعدّد المستويات.

**ب- الجانب التّطبيقي:**

**الدّراسات التّطبيقيّة على شعر المعرّي في سقط الزّند:**

حاول أبو العلاء المعرّي أنّ يوظّف المفارقة المعجميّة لإنتاج شعريّة خاصّة به وذلك من خلال اختيار كلمات ذات دلالة ماديّة و وضعها في سياقات فلسفيّة أو وجوديّة أو هجائيّة، توفّر صداماً بين السّطح الحسّي والعمق الفكريّ، يقول المعرّي مادحاً في ديوانه ( سقط الزّند) : [٢]

**أقولُ لهم وقد وافى كتابٌ تخالُ سطورَهُ درّاً نظيما**

**أليست كفُّ كاتبهِ غماماً يسحّ بها الشّقاوةَ والنّعيما**

**فكيفَ تخطُّ في القرطاسِ رسماً وشأن السّحبِ أنّ تمحو الرّسوما**

**كأنّ أبا الوحيدِ وما عظيمٌ لأهلِ الفضلِ أن يأتوا عظيما**

**تناولَ، من لطافتهِ، نهارا ففرّقَ فوقَهُ ليلاً بهيما**

تقوم الأبيات الشّعريّة للمعرّي على بناء تخييليّ متماسك، يحوّل الكتابة من فعل بشريّ اعتياديّ إلى ظاهرة كونيّة متعالية؛ فالكلمات لا تكتفي هنا بالتّعبير عن المعنى، بل تتحوّل إلى كيانات وجوديّة تتصارع فيها المتناقضات، وبالتّالي فإنّ النّصّ لا يصف عمليّة الكتابة فحسب؛ بل يؤوّلها عبر شبكة مُعقّدة من العلاقات الاستعاريّة التي تنتج مفارقة معجميّة دائمة، تعكس بدورها رؤية فلسفيّة عميقة للوجود الإنسانيّ في عالم زائل. من هنا، يمكن اعتبار هذه المفارقة المعجميّة آليّة تفكيكيّة تهدف إلى تقويض اليقينيات اللّغويّة وإعادة تشكيل علاقة الإنسان باللّغة والعالم.

---

[١] ينظر: علي، محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدّلالة والتّخاطب، ص١٥، و ينظر: قدور، أحمد محمد، مبادئ اللّسانيات، ص٢٤٥.

[٢] شمس الدين، أحمد ، شروح سقط الزّند، ص٤١٠

يبدأ العدول الدّلاليّ عند المعرّي بانتقاء ألفاظ تنتمي إلى حقول دلاليّة متباعدة ظاهريّاً، لكنّها تتفاعل داخليّاً لتوليد توتّر دلاليّ منتج. فهو ينتقي من حقل الكتابة (كتاب، سطور، خطّ، قرطاس، رسم)، ومن حقل الطّبيعة :

(غمام، سحّ، سحب، محو، نهار، ليل)، ومن حقل القيم (شقاوة، نعيم، فضل، عظيم). هذا الاختيار غير البريء يُولّد تداخلاً استعاريّاً يجبر الكلمات على الخروج من دلالاتها المألوفة، فتفقد استقرارها المعجميّ وتدخل في علاقات

مجازيّة قسريّة، ما يعكس ثنائيّة أساسيّة في فكر المعرّي بين العقل الإنسانيّ المنظّم والطّبيعة الفوضويّة المتغيّرة.

وبناءً على هذا الاختيار المعجميّ المقصود، يأتي التّركيب النّحويّ ليعزّز العدول؛ إذ تعتمد الأبيات على جمل استفهاميّة وإنكاريّة وتعجبيّة ("أليست كفّ كاتبه غمامًا"، "فكيف تخطّ في القرطاس رسمًا"). هذه التّراكيب لا تؤدّي وظيفة إخباريّة تقليديّة، بل تتحوّل إلى أدوات تشكيك وإنتاج للمفارقة. فهي تعكس قلقاً معرفيّاً وجوديّاً، وتجبر القارئ على

إعادة النّظر في علاقات الأشياء المألوفة، ما يجعل البنية التّركيبيّة نفسها جزءاً من الخطّة التّفكيكيّة للنّصّ.

كما ينتج من هذا العدول انتهاك مقصود لقيود الوقوع المشترك التّقليديّة؛ إذ يجبر المعرّي الكلمات على التّجاور في سياقات غير مألوفة. فـ"الغمام" لا يسحّ عادة "الشّقاوة والنّعيم"، و"السّحب" لا تمحو "الرّسوم" بينما تشبه الكفّ التي "تخطّ"، و"النّهار" لا يُتناول كشيء ماديّ ليفرَّق فوقه "اللّيل". هذا الخرق المتعمّد للنّظام الدّلاليّ يُولّد مفارقة معجميّة عميقة، تتمثّل في إسناد أفعال غير متوقّعة لأسماء مألوفة، وجمع ألفاظ متضادّة داخل وحدة دلاليّة واحدة. وتكمن براعة المعرّي في أنّه على الرّغم من هذا العدول، يحافظ على تماسك النّصّ عبر تلازم استعاريّ داخليّ؛ إذ ترتبط مفردات حقل الكتابة (كتاب ← سطور ← كفّ ← تخطّ) بمفردات حقل الطّبيعة: (غمام ← يسحّ ← سحب ← تمحو) عبر علاقات تشابه وظيفيّ مُتخيّل، وليس تشابهاً واقعيّاً.

يؤدّي هذا التّفاعل بين العدول والتّماسك إلى كشف بنية عميقة للنّصّ تتجاوز المستوى السّطحيّ الوصفيّ. فبينما يقدم النّصّ ظاهريّاً وصفاً لكتاب وكاتب وعمليّة كتابة، فإنّه يعالج في العمق إشكاليّات وجوديّة كبرى: سلطة اللّغة في تشكيل المصير الإنسانيّ (من خلال الجمع بين الشّقاوة والنّعيم)، وتناقض فعل الكتابة نفسه بين التّثبيت والمحو، وازدواجيّة الفعل الإبداعيّ بين النّور والظّلمة. وهنا تتّجلى المفارقة المعجميّة كمرآة لتناقض الوجود الإنسانيّ؛ فالإنسان يُولّد ويثبت عبر اللّغة، لكن إبداعه عرضة للزوال، مثل السّحب التي تمحو ما رسمته. هذه الرّؤية تتّسق مع فلسفة المعرّي التّشكّكيّة الزّهديّة، التي ترى في العالم مسرحاً لصراع الأضداد.

ويتحقّق هذا العدول المنهجيّ عبر سلسلة من العدولات الدّلاليّة المتتالية التي تُشكّل نسقاً تفكيكيّاً متكاملاً. فينتقل المعرّي من العدول الحسيّ إلى المجرّد ("سطوره درّاً نظيماً")؛ إذ يحوّل الخطّ المادّي إلى جواهر قيميّة، ثم إلى العدول البشريّ إلى الكونيّ ("كفّ كاتبه غمامًا")؛ إذ يرتفع بالفعل الإنسانيّ إلى مستوى الظّاهرة الطّبيعيّة، وأخيراً إلى العدول الزّمنيّ إلى المادّي ("تناول من لطافته نهارًا")؛ إذ يُجسّد الزّمان المجرّد ويحوّله إلى مادة قابلة للتّناول والتّوزيع. هذه العدولات ليست زخارف أسلوبيّة عابرة، بل تُشكّل نظاماً مترابطاً يهدف إلى

تفكيك العلاقة المستقرّة بين الدّالّ والمدلول، وإعادة تشكيلها وفق رؤية جديدة تجعل اللّغة فضاءً لإمكانات دلاليّة غير محدودة.

وتتحقّق الشّعريّة الفريدة للنّصّ من خلال قدرته على توليد وتفعيل توتّر دائم بين الأضداد: بين الخلق والمحو، الشّقاوة والنّعيم، النّهار واللّيل، وهذا التّوتّر لا يحلّ في اتجاه واحد، بل يُبقي على حالة من "التّعليق الدّلاليّ" تمنع الانغلاق على معنى ثابت، وتحفّز التّأويل المستمر. فالمفارقة هنا تصبح آليّة إنتاج للمعنى في عالم تتداخل فيه المتناقضات؛ لأنّها تجعل من اللّغة نظاماً مفتوحاً احتماليّاً بدلاً من نظام مغلق مُحدّد. وبهذا المعنى، تتجاوز المفارقة الوظيفة البلاغيّة التّقليديّة لتصبح إطاراً وجوديّاً شاملاً ينظم الرّؤية الشّعريّة برمتها.

خلاصة القول، إنّ العدولات البلاغيّة واللّغويّة في نصّ المعرّي ليست مجرّد تقنيّات أسلوبيّة، بل هي تجلّيات لموقف وجوديّ وفلسفيّ عميق، فالمفارقة المعجميّة عنده تتحوّل من ظاهرة جزئيّة إلى بنية شاملة تعبّر عن رؤية للعالم قائمة على تقويض اليقينيات وإعادة تركيب العلاقات، عبر هذا النّهج، يحوّل المعرّي الكتابة إلى مسرح لصراع المتناقضات الوجوديّة؛ إذ تتصارع إرادة الخلود الإنسانيّة مع حتمية الفناء الكونيّ.

وهكذا، يقدم نموذجاً شعريّاً فريداً يجمع بين البراعة البلاغيّة والعمق الفلسفيّ، مؤكّداً أنّ اللّغة ليست وسيلة للتّعبير فحسب، بل هي أيضاً ميدان للمعرفة والتّشكّيك وإعادة الاكتشاف.

ويقول المعرّي أيضاً : [١]

**لو حطَّ رحلِي فوقَ النّجمِ رافِعُه، وجدتُ ثمّ خيالاً منك مُنتظري**

**يودُّ أنّ ظلامَ اللّيلِ دامَ لـهُ، وزِيدَ فيه سوادُ القلبِ والبصرِ**

يُشكّل البيتان بنية شعوريّة متوتّرة، تجمع بين السموّ والاستغراق في العتمة، من خلال عدولات دلاليّة وتركيبيّة؛ إذ يرفع الشّاعر رحله إلى أبعد نقطة ممكنة، لكنّ النّتيجة ليست نوراً، بل "خيال منتظر" يقوده إلى تفضيل الظّلام وطلب زيادة السّواد، فصراع الضّوء والظّلام (النّجم مقابل الظّلام، الرفع مقابل السّواد أو السّقوط النّفسيّ) يحوّل البيتين إلى مسرح جدليّ بين الأمل واليأس، كما ظهر عدول مكاني "فوق النّجم " ليفتح لنا الشّاعر أفقاً غير محدود للشّوق، لكن بطلبه دوام الظّلام ظهر عدول بالرّغبة ما خلق مفارقة شعوريّة قويّة عندما حمّل الظّلام معنى مرغوباً، بالعلى الرغم من أنّه في الطّبيعة مرفوض، وهنا انقلاب في القيمة الدّلاليّة.

ما ظهر من بنية سطحيّة في البيتين يصوّر المسافر الذي يرفع رحله* إلى النّجم ليعثر هناك على خيال ينتظره، لكن هذا الخيال يفضل الظّلام ويطلب استمراره، بل وزيادة السّواد، لكن ما يضمره النّصّ في بنيته العميقة يكمن في أنّ الرّحلة العلوية ليست سفراً مادياً، بل محاولة لتجاوز الألم، والخيال المنتظر** ليس إلاّ بقايا المحبوب أو صورة لعاطفة فقدت حقيقتها، والرّغبة في استمرار الظّلام تعبير عن رغبة الشّاعر نفسه في الاتّساق مع معاناته حتى يصبح الظّلام موطناً.

---

[١] شمس الدين، أحمد شروح سقط الزّند، ص٣٦.

* الأصل فيه متاع المسافر، لكنّه هنا يحمل دلالة الهموم والأعباء النفسيّة.

** الخيال هو صورة ذهنية بين الوجود والعدم، ما يعكس هشاشة الأمل واستحالة التحقق.

نقل هذان البيتان العاطفة من المستوى الواقعيّ إلى المستوى الرّمزيّ . النّفسيّ؛ إذ أصبح الألم جزءاً من الهويّة، والخيال آخر ما تبقى من الحضور الإنسانيّ، ليُحوّل الشّاعر الحزن إلى لغة وصورة، فعالم المعرّي الشّعريّ يعبّر عن الاغتراب الوجودّي، والانتظار عنده ليس رغبة في اللّقاء، بل استسلاماً للغياب، والظّلام ليس حالة مؤقتة بل ملاذاً نفسيّاً، ليبرز لنا الصّراع بين التّطلع إلى المثال، والاستسلام لثقل الواقع، كما وضّح من خلال عدولاته ومفارقاته قدرته على خلق شعريّة عاليّة تتجاوز المعنى الظّاهر إلى عمق التّجربة الوجدانيّة.

يقول في موضع آخر: [١]

**إذا شمسُ الضّحى نظرَتْ إليهِ، أقرّتْ أنّ حُلّتهَا حِدادُ**

**فلولا اللهُ، قالَ النّاسُ: أضحَتْ ثمانيةً بهِ السّبعُ الشّدادُ**

يغالي المعرّي في مدحه هذا إلى حدّ الإفراط المقصود، حتّى يبلغ حدّ الكونيّات من خلال اختيار دقيق لمفردات متقابلة (الشّمس /الحداد، السّبع / الثّمانية) بالإضافة إلى استخدامه التّركيب الشّرطيّ والامتناعيّ (فلولا الله) الذي أعطى حركة تصاعديّة من فعل الشّمس إلى تدخّل الله إلى تهديد النّظام الكونيّ.، فالتّلازم اللّفظيّ يُخترق بقصد: الشّمس تنظر وتلبس ثوب الحداد، والسّماوات تزيد، وهذا الانتهاك ليس خللاً، بل هو جوهر الشّعريّة، عدول يُعيد بناء الواقع على وفق مقام الممدوح ، فالشّمس في لحظة الإشراق الزّمنيّ لها تلبس أمام الممدوح حلة سوداء؛ لأنّ نوره قد طغى على نورها، فيخلق الشّاعر بذلك تقابلاً عنيفاً بين ضوء الشّمس وظلمة الحداد، ثمّ يأتي استخدامه تركيب (سبع شداد) لربط العدد سبعة صاحب الحضور الثّقافيّ الدّينيّ وصفة القوّة والمتانة، ما عكس نظاماً كونيّاً ثابتاً، لكنّه قام بخلخلة هذا الكون الثّابت عندما سبق بلفظة (ثمانية) أولاً؛ ليجعل السّبعة تصبح ثمانية، وما هذا إلّا تصعيدٌ في مدح الممدوح ليتجاوز أثر الضّوء ويهدّد منظومة الكون، فالممدوح يمتلك نوراً يفوق نور الشّمس، حتى تكاد تخجل فتلبس السّواد، وعظمته مفرطة لدرجة لو لم يقدّر الله حدودها لتمادى النّاس في القول حتى بلغ الحد الكونيّ، فالسّبع الشّداد وهي إشارة إلى السّموات السّبع تهتز وتتغير بفعل وجوده أو أثره لتتحول إلى ثمانية وبالعلى الرغم من التحوّل العددي تبقى صفة الشّداد ما يعني أنّ النّظام الجديد لا يقلّ صلابة، وبخرقه ذاك بنى المعرّي شعريّة قائمة على التّجاوز والخرق وغير المعقول الجميل.

تكثّفت المفارقات لتصنع نصّاً وضع الممدوح في مقام يجاوز الطّبيعة حتى لا يبقى للحماية من الغلوّ إلّا " لولا الله " وبذلك حفظ النّظام الكونيّ من التّمزق بوضعه الشّرط الإيمانّي، فالله هو الحافظ النّهائيّ للنّظام الذي هدّدته قوّة الممدوح.

ويقول: [٢]

**ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلٌ: عَفَافٌ وإقدامٌ وحَزمٌ ونائلُ**

[١] شروح سقط الزّند، ص٦٥.

[٢] الشروح، ص١٠٦

**أعندي، وقد مارستُ كلّ خَفيةٍ، يُصدّقُ واشٍ، أو يُخيّبُ سائلُ**

الشّاعر هنا لا يقدّم وعوداً كاذبة، بل يُصرّح بالمبادئ ثمّ يتساءل عن إمكانيّة تحقيقها في عالم متقلّب، فنلحظ هنا تجميعاً مدروساً لمفردات الأخلاق " عفاف" مع القوّة " إقدام" مع الإرادة "حزم" مع النّتيجة "نائل" مكوّناً منظومة قيم كاملة تصوّر المجد بوصفه بناءً تراكمياً يعتمد على خُلق وعمل وتجربة، ثمّ يستعمل فعلين مبنيين للمجهول "يُصدّق، يُخيّب" وذلك لتجريد النّتيجة من ذاتيّة الفاعل وجعلها محكومة بظروف الحياة وتقلباتها.

بدأ المعرّي بإعلان مبدئيّ مُستخدماً الاستفهام الإنكاريّ ثمّ عدّد صفات ثابتة، وتساءل عن القدرة والجدارة، ليعرض بعد ذلك نتيجتين متناقضتين: تحقّق الوعد أو خيبة الطّلب، هذا في البنية السّطحيّة للنّصّ، أمّا في البنية العميقة ما هو إلّا رفض القيام بأيّ فعل لا يحقّق المجد؛ لأنّ النّصّ يبدأ من مركز القيم لا من الأفعال، وتجميعه للصفات الأربع (عفاف، إقدام، حزم، نائل) هو تجميع ليبني هويّة ويشكّل بها منهج حياة، فالعفاف هو الضّبط، والإقدام هو الفعل والجرأة، والحزم هو الإرادة والنّائل هو الثّمرة.

وعلى الرغم من اكتمال الصّفات والخبرة إلا أنّ النّجاح غير مضمون "يصدّق وعد" والفشل وارد "يخيّب سائل"، وما الجمع بين العفاف والإقدام إلا خلق لشخصيّة متوازنة متكاملة سلوكيّاً، فالنّصّ يؤسس لرؤية ناضجة من مبادئ ثابتة وفعل جاد وتجربة واسعة ونتائج غير مضمونة، وهذا هو جوهر الحكمة الإنسانيّة؛ إذ وازن المعرّي بين المبدأ والواقع من خلال اختيار لغويّ محكم وتركيب نحويّ دقيق، ولكن يبقى وعي الشّاعر العميق بالحياة واضحاً: فالخبرة شاملة "مارست كلّ خفية" لا تلغي احتمالَي النّجاح والفشل.

إنّها رؤية إنسانيّة متوازنة، ذات بُعد فلسفيّ، تستثمر آليّات الشّعريّة العربيّة في أعلى درجاتها دون إفراط في المجاز، بل عبر بلاغة القيم والعمل والتّجربة، فيحقق النّصّ بذلك توازناً نادراً بين المبدأ والواقع، بين الطّموح والتّواضع، بين الحماسة والحكمة.

## الخاتمة:

تكشف هذه الدّراسة أنّ المفارقة المعجميّة في شعر أبي العلاء المعرّي، وفي الشّعريّة العربيّة عموماً، ليست ظاهرة هامشيّة أو زخرفة لفظيّة، بل هي:

١. منهج فنيّ واع يقوم على التّخطيط الدّقيق لخرق التّلازم المعجميّ المألوف، ونقل الكلمة من حقلها الدّلاليّ المباشر إلى حقل جديد، سعياً لتكثيف الدّلالة وإنتاج المعنى.

٢. آليّة تفعيل للمتلقّي: تجعل القارئ شريكاً أساسيّاً في إنتاج المعنى من خلال دفعه إلى فك شيفرة العدول والتّأمل للوصول إلى البنية العميقة للنّصّ.

٣. عماد من أعمدة الشّعريّة: تسهم إسهاماً جوهرياً في إثراء النّصّ الشّعريّ بطبقات دلاليّة مُتعدّدة، وتوليد توتّر جماليّ بين الظّاهر والباطن، ما يُطيل زمن التّلقي ويمنح النّصّ قدرته على الإيحاء والتّجدّد.

٤. أداة وصل معرفيّ بين التّراث والحداثة: تُثبت الدّراسة إمكانيّة الرّبط الخلّاق بين تصوّرات التّراث النّقدّي العربيّ للمجاز والعدول، ومناهج اللّسانيات الحديثة في تحليل الانزياح والدّلالة، ما يفتح آفاقاً جديدة للدّرس النّقدّي، كما أثبتت ظاهرة المفارقة إمكانيّة الحوار الخلّاق بين الموروث البلاغيّ العربيّ والمناهج اللّسانيّة المعاصرة.

٥. تجسيد مركزي في نموذج المعرّي: يقدّم شعر المعرّي في "سقط الزّند" نموذجاً مكثّفاً وغنيّاً لاشتغال المفارقة المعجميّة، مجسّداً فيه تحوّل اللّغة إلى فضاء للإيحاء الفلسفيّ والنّقديّ، ما يؤكّد مركزيّة هذه الآليّة في بناء الشّعريّة العربيّة في أعمق تجلّياتها .

وهي في شعره ليست مجرّد زخرفة أسلوبيّة، بل عمل مُتعمّد مُتقن يحمل آليّات دلاليّة مُعقّدة تعمل على تحويل اللّغة من أداة توصيليّة إلى فضاء تأويليّ مفتوح، ما جعلها نموذجاً متميّزاً للشّعريّة العربيّة في تجلّيها الأكثر تعقيداً وإبداعاً.

وهكذا تتحوّل اللّغة في ظلّ المفارقة المعجميّة من أداة إبلاغ مباشر إلى فضاء للخلق الجماليّ والتّأويليّ، ممثّلة إحدى الرّكائز الأساسيّة التي تحوّل الكلام إلى شعر، وتجعل من اللّغة أداة لا للقول المباشر فحسب؛ بل للتّعبير عمّا يتجاوزه مؤكّدة أنّ شعريّة النّصّ تكمن في قدرته على قول ما لم تتعوّد اللّغة على قوله، وهو ما أتقنه المعرّي في ديوانه "سقط الزّند".

كما يُثبت البحث أنّ المفارقة المعجميّة ركيزة مهمّة من الرّكائز التي تقوم عليها شعريّة النّصّ العربيّ؛ متوافقة في ذلك مع الرّؤى التّراثيّة والمناهج الحديثة ما جعلها ظاهرة تستحق المزيد من الدّرس التّحليليّ في النّقد الأدبيّ المعاصر، وقد أكّد البحث على أنّ المفارقة تعطي النّصّ الأدبيّ عمقاً دلاليّاً وإيحاءً يتجاوز المباشرة، وقدرة على خلق الدّهشة والتّأمل، كما تمنح النّصّ إمكانات واسعة للرمز والعدول، وقوّة تصويريّة دون إسراف لفظيّ، فتظهر المفارقة بوصفها جزءاً من الذّائقة الشّعريّة والبلاغيّة منذ القدم.

وبذلك يقدّم البحث نموذجاً تفاعلياً لتحليل المفارقة المعجميّة، ويؤكّد إمكانيّة الرّبط الخلّاق بين المفاهيم التّراثيّة والمفاهيم الحديثة من خلال بيان دور التّفاعل بين الآليّات اللّغويّة في تشكيل المفارقة.

**المصادر والمراجع:**


أدونيس،٢٠٢٢، الثّابت والمتحوّل، *بحث في الإبداع والاتباع عند العرب– صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعري*. دار العودة، بيروت،.

. أدونيس،١٩٧١، *مقدمة للشّعر العربيّ*، ط١، دار العودة، بيروت.

بهنسي، عبد الموجود مولى،١٩٩٣، *رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي*، رؤية نقدية متعمقة، ط١،مكتبة الرشد .

التركي، إبراهيم منصور،(٢٠٠٧) ، *العدول في البنية التّركيبيّة* ، "قراءة في التّراث البلاغي". * مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها *، المجلد٩ ، العدد٤٠،

تشومسكي، نعوم،١٩٨٦، *البنى التّركيبيّة*، المنظمة العربيّة للترجمة ، د.ط،.بيروت.

جاكبسون، رومان،١٩٨٨، *قضايا الشّعريّة*، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنوز، ط١،دار توبقال، المغرب العربيّ.

الجرجاني، عبد القاهر، *أسرار البلاغة*، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة،د.ط.

الجرجاني، عبد القاهر، د.ت، *دلائل الإعجاز*، تحقيق:محمد محمود شاكر، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة .

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، ١٩٦٥،*الخصائص، تحقيق محمد علي النجار*، ج١، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، / ج٢، طبعة دار الهدى ، ٢٠٠٦

حسان، تمام،١٩٧٩، *اللّغة العربيّة معناها ومبناها* ، د.ط،.الهيئة المصرية العامة للكتب،

دوسوسير، ١٩٨٧، *محاضرات في علم اللسان العام*، ترجمة:عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي ، إفريقيا الشرق،

أبو ديب، كمال ،١٩٨٧، *في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية* ، ، ط١،بيروت ، لبنان.

راضي ،عبد الحكيم،١٩٨٠، *نظرية اللغة في النّقد العربيّ* ، د.ط،مكتبة الخانجي، مصر.

زكريا، ١٩٨٢،*ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية*، ط٢،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت.

الرّواشدة، ٢٠١٥،خالد، فضاءات الشّعريّة، دراسة العدول الدّلاليّ، د.ط، دار أسامة للنّشر، عمان،

السعران، محمود، ١٩٧٨،*علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (مدخل)*، دار النهضة العربية،د.ط، بيروت.

السّكّاكيّ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ،١٩٨٧، *مفتاح العلوم ،ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه:* نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت .

سليمان، خالد،١٩٩٩، *المفارقة والأدب*، ط١،دار الشرق، عمان ، الأردن.

شبانة، ناصر،٢٠١١، *المفارقة في الشّعر العربيّ الحديث*، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، بيروت.

شمس الدين، أحمد،١٩٧١، *شروح سقط الزّند*، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت– لبنان.

عبد اللطيف، محمد حماسة،٢٠٠٠، *النّحو والدلالة– مدخل دراسة المعنى النحوي والدلالي*،د.ط، دار الشروق، القاهرة.

علي، محمد محمد يونس،٢٠٠٧، *المعنى وظلال المعنى*،ط٢، دار المدار الإسلاميّ، ليبيا.

علي،محمد محمد يونس، ٢٠٠٤، *مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب*،د.ط، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.

قدور، أحمد محمد،١٩٩٩، *مبادئ اللّسانيات*،د.ط، دار الفكر المعاصر، بيروت.

الكواز ، محمد كريم،٢٠٠٦، *البلاغة والنّقد، المصطلح والنّشأة والتّجديد، الانتشار العربي، بيروت*.

المبارك، ناصر،٢٠٠٤، *الظّاهر اللّغوي في الثّقافة العربيّة* ، د.ط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت.

مختار، احمد ، ١٩٩٨، *علم الدلالة* ، دار عالم الكتب ، القاهرة .

المسدي، عبد السلام،٢٠٠٥، *الأسلوب والأسلوبية* ، ط٢، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ليبيا.

المعرّي، أبو العلاء، ٢٠٠٣، *سقط الزّند وضوءه*، تحقيق: السّعيد السّيّد عبادة، د.ط،معهد المخطوطات العلميّة، القاهرة.